الحضارة الإيبرومغربية (الوهرانية).

سبب التسمية: أطلقت هذه التسمية لاعتقاد بعض الباحثين الذين درسوا صناعاتها أنها مرتبطة بحضارات العصر الحجري القيم الأعلى يشبه جزيرة إيبيريا، ويعود الفضل في اكتشافها إلى الأستاذ بول بالاري **(P.Pallary)** الذي قام بمجموعة من الحفريات في موقع عين المويلح سنة 1899 بالغرب الجزائري، وأطلق عليها هذه التسمية، معتقدا أنها متأثرة بالصناعات الميكروليتية الأيبيرية، كما قام ستيفان قزال**(S.Gsell)** سنة 1910 بالتنقيب فيها،وأراد كل من جوبير **(E.G.Gobert)** وفوفري**(R.Vaufrey)** تسمية هذه الحضارة بالحضارة الوهرانية، إلا أنهما لم يفلحا في ذلك. وقد أثبتت الحفريات والأبحاث التي أجريت خلال القرن الماضي أنه لا وجود لتقارب أو تأثيرات حضارية تربط بين شبه جزيرة أيبيريا وبلدان شمال إفريقيا،وبالتالي فإن تسمية وهر انية هي أقرب للمعطيات التاريخية، من الأفضل استعمالها على مصطلح الإيبرومغربية.

الانتشار والامتداد الجغرافي: تعود بدايات الحضارة الإيبرومغربية في حوالي 22000 سنة إلى غاية 8000 سنة تقريبا، وتمتد من السواحل الأطلسية المغربية حتى السواحل المتوسطية، غير أنها تبدو غائبة على السواحل المتوسطية المغربية ونادرة جدا بالسواحل الشرقية التونسية، كما تنسب لها بعض المواقع الداخلية،ومن أهم مواقعها نذكر: كلومناطة والهامل بالقرب من بوسعادة ومغارات تماهارت وأفالو بورمل وعلي باشا قرب بجاية، وجيجل ومغارة راسل بجبل شنوة وجبل إيدوغ بعنابة وبونوارة وكاف أمك التويزة بالجزائر،ووادي العكاريت بخليج قابس ووشتاتة بتونس،وكيفان بلغوماري شمال مدينة وجدة وعين الرومان وبوسكورة والخنزيرة بالمغرب الأقصى.وبعد أن ساد رأي لفترة طويلة يقول أن الحضارة الإيبرو مغربية حضارة ساحلية،فقد تم التخلي عنه بعد العثور على عدة مواقع داخلية وصحراوية،حيث تواجدت جنوبي منطقة الأطلس الصحراوي بالجزائر،وفي منطقة الأطلس الأوسط بالمرب الأقصى بمواقع مرتفعة تزيد عن 2000م، حيث تتواجد منابع مائية وعيون(انظر خريطة رقم 2).

الوسط الطبيعي خلال الحضارة الإيبرومغربية: تشير التحاليل التي أجريت على بقايا النباتات بالمواقع الإيبيرو مغربية أنها تعود للصنوبر الحلبي وأشجار الأرز،وهذا يشير أن المناخ السائد حينها مناخ بارد نسبيا،أما الوسط الحيواني فقد تواجدت حيوانات مثل: البقر الوحشي العتيق والحصان الوحشي المغربي، والأيل الجزائري.

ويبدو أن الإيبرومغاربة كانوا يعيشون في المناطق الساحلية وفي التل أحيانا، ونادر بالمناطق الصحراوية،ويقيمون في الكهوف والمغارات المتجهة نحو البحر الذي كان مستواه أكثر انخفاضا مما هو عليه لأن، وكان الناس يعيشون على صيد الحيوانات الكثيرة العدد كالضبي والغزال والبقر الوحشي وصغار القواضم والطيور... وكثيرا ما كانوا يكملون وجباتهم من منتوجات الصيد البحر أو الحلزون،كما استهلكوا بعض النباتات البرية كالعنبيات والجذور.

الأدوات الإيبيرومغربية ومراحل تطورها: تتكون معظم الأدوات الإيبيرومغربية من نصال صغيرة مستخرجة من حجر الصوان، حيث يقول الصانع بطرقها طرقا خفيفا لتكتسب حدا مثلوما(انظر الشكل8).، وقد عثر في بعض المواقع على قطع حجرية مكورة وملساء استعملت لسحق مواد التلوين أو طحن الحبوب البرية، كم يعتبر استغلال عظام الحيوانات في صنع أدواتهم من مميزات هذه الحشضارة،وتنوعت المواد الأولية المستعملة في الصناعة الحجرية منها حجر الصوان وهو الأكثر انتشارا في الطبيعة،والحجر الكلسي والكوارتزيت، فضلا عن الصناعة العظيمة.

تنقسم الصناعات الوهرانية وفق تقنيات متعددة:

المرحلة القديمة: وتبدأ هذه المرحلة من ظهور هذه الحضارة إلى غاية الألف العاشرة، وتتميز بكبر حجم أدواتها، والتي تمثلت في المحكات وقلة الأزاميل والنضال المضروبة الظهر، وندرة الأدوات ذات المقاييس الهندسية مثل المثلث والمنحرف وبقية الأشكال الأخرى.

المرحلة الكلاسيكية: وتبدأ من الألف العاشرة إلى غاية الألف الثامنة، وتتميز بارتفاع نسبة النضال ذات الظهر بنسبة 25٪ ،وغناها بالأدوات الميكروليتية ذات الأشكال الهندسية المختلفة.وكذلك بالأدوات المحززة وغيرها، ومن أهم مواقعها: موقع كهف راسل بشنوة(تيبازة)، التي درسها ونقب فيها الباحث كلود براهيمي.

المرحلة المتطورة: ظهرت أدوات هذه المرحلة في أواخر هذه الحضارة أي في حوالي منتصف الألف التاسعة، وتتميز بانخفاض نسبة النضال ذات الظهر، وانخفاض نسبة الأدوات الميكروليتية، وتحتوي على عدد معتبر من الأدوات المحززة.

المعتقدات: تتميز المعتقدات اليبرومغربية بالندرة وكثيرا ما يشوبها الغموض، ومن أهمها عادة قلع بعض القواطع العليا فقط عند الرجال والنساء، ولا يعرف السبب الحقيقي لهذه العادة الغربية ،وربما يكون طقسا يشير للانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة والرشد، أو طقس العبور، وهي عادة معروفة لدى بعض المجتمعات الإفريقية الحالية، كما كانوا يمارسون عادة صيغ الجسنم ببعض المواد كالمغرة، وفي الجانب الجنائزي كانوا يدفنون موتاهم في وضعيتين: بطي الجثة على نفسها وتسند على الجنب أو الظهر ،وأحيانا يعثر على عظام مسجاة دون انتظام وليس بينها اتصال، وربما كانوا ترمى الجثة وبعد التخلص من اللحم يعاد دفنها من جديد.

وقد عثر في موقع أفالو بورمال بجاية على مجموعة من الهياكل البشرية المدفونة،وأغلبها مدفون في وضعية منكمشة،فقد كانت الأطراف السفلية شديدة الانكماش وتصل الركبتان حد الصدر ،والقدمان بمحاذاة الحوض والأيدي منكمشة حول الجسد،وقد بلغت الكتفين أو الرأس،ووجد طفل مدفون ومتجه نحو الأسفل، كما عثر على هيكل رجل ممدود وموضوع على الظهر، وأطرافه متوازنة مع جثته،والرأس متجه نحو الشرق،ووضعت بجانب الرأس كمية من المواد الملونة كالمغرة،ومعها مخرز مصنوع من عظم، كما وضعت معه بعض الحصى الصوانية المختلفة الأشكال، ولا نعرف الغرض الحقيقي من وضعها رفقة الجثة، فهل كانت بمثابة أثاث جنائزي وضعوا من أجل استعماله في العالم الآخر ،وهل هذا يدل على إيمانهم بعقيدة الخلود؟

الفن الإيبرومغربي: تعود أقدم المظاهر الفنية بمنطقة شمال إفريقيا إلى الحضارة الإيبرومغربية ، إذ عثر على عدة تماثيل صغيرة بشرية وحيوانية مصنوعة من الطين المشوي، وكذلك على منحوتات فنية ذات أشكال بشرية وحيوانية مصنوعة من حجارة، كما تم العثور على صفائح صخرية منقوشة بخطوط هندسية منحنية وأخرى مقعرة،كما عثر في تافوغالت على صخور تحمل صور حيوانية وإن كانت منقوشة بشكل ردئ كالفيلة والأروية،كما كانوا يصنعون الحلي من الحجارة والفواقع،ومن بقايا قشور بيض النعام بعد تزينها،وتلوينها بالمغرة وبعض المستخلصات النباتية والحيوانية،لكن الفن سيعرف ازدهار كبيرا الحضارة القفصية والعصر الحجري الحديثة.